

الفصل الثاني (الكتابة للطفل)

ليس من اليسير الكتابة للطفل . فالكاتب كبير والمكتوب له صغير ، وهما من عالمين مختلفين جدا الاختلاف . والقضايا والأمور التي تشغل عالم الكبير غير تلك القضايا والأمور التي تشغل عالم الصغير.

وإذا أراد الكاتب أن يكتب للطفل فعليه أن ينسلخ من عالمه ويتخلص من همومه وكل ما يربطه بعالمه عقليا ووجدانيا وهنا صعوبة قد لا ينجح فيها وإن نجح فعلي حسب أشياء كثيرة ليس الكاتب علي استعداد أن يضحي بها.

بعد ذلك أن يلج عالم الطفل وهذه صعوبة ثانية ، فكيف له أن يفهم ويشعر بكل ما يموج به عالم الطفل عليه أن يتقمص الطفولة ويعرف إهتمامات الطفل ما يحبه ..وما يكرهه ما يرجوه ما يخافه ما يتمتع ما يؤله ما يضحكه ما يبكيه...علي الكاتب أن يحقق معادلة صعبة . أن يعيش أو يعايش الطفولة وهو ما يزال كبيرا أي أن يعود علي بدء كما يقول الكاتب (ابراهيم عبد القادر المازني)

ورب قائل يقول : إن الكتابة للطفل من السهولة بمكان فما علي الكاتب إلا أن يتذكر ذكريات الطفولة ويرتد بعقله عوات ثلاثين أو أربعين ويكتب للطفل من خلال تلك الذكريات ..وينسي هذا القائل أن الكاتب حينما يرتد إلي الطفولة فإسما يزن بعقل الرجل فهو يري الطفولة من معيار الرجل وليس الطفل...وأن تلك السنوات التي فصلت ما بين طفولته ورجولته كانت كفيلة أن تحيي ملامح وسمات عالم الطفولة وأن لم تحيا فعلي الأقل أصبحت باهته مفرغة من محتواها

الوجداني، فهو قد يتذكر المواقف التي تعرض لها في طفولته، أما ما أحاط بتلك المواقف الحيوية من مشاعر وأحاسيس وما يترتب في نفس الطفل منها فلا يبقى منه شيء؛ ذلك لأن الطفل لا يرى العالم من حوله بعقله أو بصره فحسب، بل يراه بكل ما في كيانه من حواس، وربما يكون العقل هو آخر حاسة يرى الطفل العالم من خلالها.

"ليس الطفل رجلاً صغيراً، فللطفولة صفات خاصة بها دهن سواها، فالطفل يرى ويسمع ويشعر ويفكر بصورة خاصة به ولا شيء يخالف المنطق والحس السليم والذوق الصحيح مثل رغبتنا في أن يرى ويسمع يفكر مثلما نرى ونسمع ونشعر ونفكر نحن، لذا يجب معاملته على اعتبار أنه طفل"

وهنا توجد الهوة الواسعة التي تفصلنا عن أطفالنا، فقد ننسى أن الطفل له رؤية للعالم غير رؤيتنا، ونعامله على مستوى تفكيرنا وشعورنا، ونتنظر منه ما ينتظر من الإنسان الناضج المكتمل العقل والخبرة، لذا لا يوجد أي لا يشكو أنه لا يفهم طفله، لا يفهم ماذا يريد، ولا يفهم لماذا يبكي، ولماذا لا يأكل، ويزداد التوتر بين الكبار والصغار وينشأ شعور بعدم الثقة، وعدم الشعور بالأمان بين العالمين فأفراد كل عالم متحصن بسوء الظن بأفراد العالم الآخر، لذا تجد الطفل دائم الثورة، متمرداً، رافضاً، يكسر، يسكب، يدمر، وكأن لسان حاله يقول لا أريد هذا العالم، أريد عالماً آخر، أريد عالمي أنا، لا هذا العالم الذي يقدمه لي الكبار، فما يقدمه الكبار لا يصلح إلا لهم، ولا يتفق إلا مع ميولهم ولا يرضي إلا رغباتهم، وما يصلح للأطفال ويعد بالنسبة لهم شيئاً عظيم الشأن جليل الخطر قد يراه الكبار

١ . كيف نربي أطفالنا ونعالج مشاكلهم - معروف زريق - (٥١)

شبهًا تافها لا قيمة له ، وربما نبت صغير ينمو ببطيء ، كل يوم ويخرج أوراقه ويراعمه وتتكون وتتشكل تلك الأوراق والبراعم يوما بعد يوم ...يعد هذا الشيء الصغير البسيط شبهًا عظيمًا وجليلًا للطفل ، بل قد يكون محور حياته وتفكيره لأشابيع وشهور ، وربما طائر صغير يتنقل من غصن إلى غصن من أغصان الشجرة التي تقع أمام منزله أو قطع السحاب في فالسمااء وهي تتجمع أو تتفروق وتتخذ أشكالًا وأوضاعًا ، يشكل منها الطفل مصدرًا لخيالاته وأحلامه فهي حيوانات خرافية من تلك التي سمع عنها في القصص ، أو حيوانات مثل تلك التي يراها في الواقع أو في الكتب أو وسائل الإعلام ، أو هي جيوش متحاربة وفرسان أقوياء ... يجلس الطفل ناظرًا ساعات إلى السماء ، مراقبًا السحب ، ولا يمل ولا يسأم والسماء أمامه مسرح واسع لخيالاته وتأملاته وأحلامه ، وحياة الطفل كلها خيالات وتأملات وأحلام.

والكاتب الذي يكتب للطفل ينبغي أن يعرف هذا ويستيقنه تمامًا ويجسده في أدبه الذي يقدمه للطفل ، وهو اد يفعل ذلك يقترب اقتربًا كبيرًا من عالم الطفل ، بل يكون له النصيب الأوفر في صياغة هذا العالم مشوقًا للطفل محببًا له يجد فيه كل ما يحلم به وما يطمناه وما يبحث عنه...يشعر الطفل أن هناك علاقة حميمة ، هناك تناغم وانسجام بينه وبين جريئات هذا العالم المصاغة وفق نفسيته وطبيعته ومزاجه " ويجدربنا بصدد التشويق أن ملاحظ حقيقة ذات شأن ، وهي أن مشوقات الأطفال تخالف مشوقات الكبار وما يثير شوق الكبار ليس ضروريًا أن يثير شوق الأطفال وكذلك العكس ، فشوق الأطفال له إتجاه خاص ومن الخطأ أن نقيس ميول الأطفال ومثيرات شوقهم بما نحس من ذلك في أنفسنا ، فللأطفال

عالمهم الخاص ودينامم العقلية التي يسبحون في ميادينها ، ومشوقات الأطفال ليست بعيدة المنال أو متعاصيه علي المعالجة فإن بي مظاهر الطبيعة وشئون الحياة اليومية تيارا متدفقا وغذاء صالحا للملاحظة^١

البحث عن عالم الطفولة:

ورب سائل يسأل :ما النتيجة التي سنخرج بها من وراء هذا الجهد الكبير الذي بدله الكاتب ؟ أهي صياغة عالم يشعر الطفل أنه عالمه وأن هناك علاقة حب وتفاهم بينه وبين هذا العالم؟ أ تلك هي النتيجة التي يسعى إليها الكاتب؟ أقول ان هذا في حد ذاته ليس بالشيء القليل أن ينجح الكاتب في أن يصوغ هذا العالم . فالطفل كائن متقلب غير مستقر دائم التطلع إلي التغيير والي الجديد والغريب والسائق والمتع...ففي أن ينجح الكاتب في خلق عالم لإرضاء الطفل فهذا إنجاز كبير.

ولكن مع ذلك ليست تلك النتيجة التي يسعى إليها الكاتب أو أدب الطفل. إنها النتيجة هي إستتارة أهم عنصر عند الطفل بالنسبه لنا وهو (الإيجابية) عند الطفل والرغبة في العمل والتفكير. نستنير فيه كل المواهب والإمكانات المطمورة في طبيعته والتي إن لم تستنار وتظهر في تلك المرحلة وتستغل ويستكشفها الطفل بنفسه ويشعر بوجودها فلن تظهر أبدا في المرحلة التالية في حياته .

"وإذا اتجهت رغبة الطفل إلي شيء من ذلك رأيقه باحنا ناشطا يوازن ويستنتج ويميز بين الأشياء والنظائر ويقدر الأشياء تقديرا حسابيا وهندسيا . يفرق

١ . الاتجاهات الحديثة في التربية - محمد عطية الإبراشي - (١٤٦)

بين الكبير والصغير والقليل والكثير يوازن بين الأبعاد المختلفة للأجسام ويدرك الفرق بينها عدا ووزنا ومساحة وحجما إلي غير ذلك^١

إنن نحن نأخذ بيد الطفل ليستكشف ذاته ويبدأ في معرفة نواحي وسمات وملامح تلك الذات وهو إذا عرف ذاته ، فقد وثق بنفسه ، فالخير كل الخير في تلك الثقة فقد وضعنا الطفل في الطريق الصحيح.

الهدف من أدب الطفل:

نحن حين نكتب أدبا للطفل ليس هدفنا مجرد إمتاعه وتسليته فحسب . والأدب الذي يهدف إلي ذلك إنما هو يعلن عن إفلاسه .وعن جهله تماما بالطفل ونفسيته وتفكيره . فالمرحلة الهامة والخطيرة التي يمر بها الطفل يجب أن نستثمرها أفضل استثمار فهي مرحلة تشكيل وصياغة وهي موقوته بسنوات معينة إذا تجاوزها الحفل وانتقل إلي مرحلة عمرية تالية . فقدنا تلك الفرصة التي تمكننا من تشكيل وصياغة وجدان وعقل هذا الكائن الذي يعتبر مادة خام قابله لأن تُشكل ويُصاغ أنضل تشكيل وأحسن صياغة . (كل مولود يولد علي الفطرة ، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه) (أخرجه البخاري).

ففي مرحلة هامة تتميز بالقابلية والتلقي والتأديب بدون أدني مقاومة من جانب الطفل " فإن المرحلة الأولى من حياة الطفل هي أهم مرحلة في تربية الطفل جسميا وخلقيا وفي تعويده أحسن العادات وأكرم الأخلاق ، فيعني الوالدان بصحته وينمو جسمه وتغذيته تغذية صحيحة وتعوده أدب الحديث وأدب السؤال بحيث يكون مهذبا في سؤاله لطيفا في حديثه يحسن الوصول إلي ما يريد في رقة

^١ الإتهامات الحديثة في التربية - محمد عطية الإبراشي - (١٤٧)

وأدب ويتعود القدرة علي مسح آثار الخطأ إذا صدر منه للغير بأن يستطيع إزالته بحسن الاعتذار ويتبغى أن يعود آداب الأكل والشرب وذلك بأن يغسل يديه قبل الأكل وبعده ،ويسمي عند الشروع في الأكل ويأكل بهدوء ومما يليه ويجيد المضغ ولا ينظر لغيره من الأكلين ،ولا يتقدم علي من هو أكبر منه،ولا يزاحم علي المائدة ولا يسبق غيره ويحمد الله عند الفراغ من الطعام وإذا شرب يشرب بهدوء ولا يتنفس في في الإناء ولا يشرب بطريقة الكرع في الماء،وهذه الآداب قد ورد بها التوجيه من المحطفي صلي الله عليه وسلم فيما يرويه عمر بن أبي مسلمة رضي الله عنهما قال:كنت غلاما في حجر الرسول ﷺ فقال لي:

(يا غلام سم الله وكل بيمينك وكل مما يليك)^١

وكل شيء في تلك الحياة له وقت لا يصلح إلا به ، فإن أنت تجاوزت هذا الوقت المعلوم لم يعطك ماترجوه منه ، مثل أنواع النباتات له مواسم وأوقات تزرع فيها،فإن تخيرت هذا الوقت المناسب،نمي النبات واستوي علي سوقه وأثمر ،كذلك الطفل ،فإن المرحلة التي يمر بها هي أنسب مرحلة للغرس ،غرس جميع القيم والمبادئ والفضائل والخصال الطيبة،وماسوف يتأدب به في هذه المرحلة سينشأ عليه ويظل عليه طوال عمره...والإمام (أبي حامد الغزالي) من المفكرين الذين اهتموا بالطفل وله في جميع نصابه إشارة أو إشارات إلي وجوب تأديب الأطفال وهو لا يقف بأثار الأدب في الدنيا ،بل أثار الأدب تتجاوز الدنيا ليحيي الطفل ثمارها في الآخرة " اعلم أن الطريق في رياضة الصبيان من أهم الأمور وأوكدها والحسي أمانة عند والديه وقلبه الطاهر جوهره نفيسه سادجة خالية من

١. الضل في الشريعة الإسلامية - د محمد بن أحمد الصالح - (٢٥٩)

كل نقش وصورة وهو قابل لكل ما نقش ومائل إلي كل ما يمال به إليه، فإن عود الخير وعلمه ونشأ عليه وسعد في الدنيا والآخرة وشاركه في ثوابه أبواه وكل معلم له مؤدب، وإن عود الشر وأهمل إهمال البهائم شقي وهلك وكان الوزر في رقبة القيم عليه والوالي له يقول الله عز وجل :

﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنفُسُهُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقَوْدُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ

غُلَاطٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ [سورة التحريم: ٦]

ومما كان الأدب يصونه من نار الدنيا فإنه يصونه عن نار الآخرة أولي وصيانتته بأن يؤدبه ويهذبه ويعلمه محاسن الأخلاق ويحفظه من قرناء السوء ولا يعود التنعيم ولا حبيب إليه الزينة والرفاهية، فيضيع عمره في طلبها إذا كبر فيهلك هلاك الأبد بل ينبغي أن يراقبه من أول أمره"

وأصاب الإمام الغزالي القصد حينما قال إن الطفل جوهرة نفيسة سانحة خالية من كل نقش وصورة، وهو يعرف ويعلم أن مرحلة الطفولة مرحلة ذهبية وفرصة لنا أن نكتب ما نشاء علي تلك الصفحة البيضاء الخالية كلمات الخير والحب والصلاح والغزالي - رحمه الله - له غرض وهدف وقصد من تأديب الطفل فهو يقول : " المقصود من تأديب الصغار أن يقوي بها علي طاعة الله وأن الكيس العاقل من تزود من الدنيا للآخرة حتي تدم درجته عند الله ويتسع نعيمه في الجنان، فإذا كان النشيء صالحا كان هذا الكلام عند البلوغ واقعا مؤثرا ناجعا يثبت في قلبه كما يثبت النقش في الحجر وأن واقع النشيء بخلاف ألف الصبي اللعب والفحش والوقاحة وشرذ الطعام واللباس والتزين والتفاخر نبا قلبه عن

قبول الحق نبوة الحائط عن التراب اليابس فأوائل الأمور هي التي ينبغي أن تراعي^١

ولا يختلف إثنان علي أن تعهد فترة الطفولة بالرعاية والإهتمام يجنبنا الكثير من المشكلات والمصاعب أثناء الكبر، بل إن الإهتمام بالطفل وبالمرحلة التي يمر بها وحرصنا علي تزويده وتأديبه علي الفضائل والمكارم تجعلنا نطمئن علي هذا الطفل في المراحل التالية لأنك إذا وضعت الأساس قويا راسخا متينا، فلك أن ترتفع بعد ذلك بالبناء بدون خوف أو قلق من إنهيار أو تصدع لأن الذي يحدد البقاء من عدمه هو الأساس .

لذا فقد كان الخلفاء يهتمون إهتماما لانظير له بتربية وتأديب أطفالهم بان يدعوا لهم أكبر وأشهر الأدياء ويزودونهم بالنصائح والمناهج التي يجب أن يسيروا عليها في تأديب وتعليم أطفالهم.

" من أحسن مذاهب التعليم ماتقدم به (الرشيد) لعلم ولده محمد الأمين فقال: (إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهنة نفسه وشرة قلبه فصير يدك عليه مسبوطة وطاعته لك واجبة فكنه حيث وضعت أمير المؤمنين أقرئه القرآن وعرفه الأخبار وروه الأشعار وعلمه السنين وبصره بمواقع الكلام وبدنه . وامنعه من الضحك إلا في أوقاته وخذ بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه ورفع مجالس القواد إذا حروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه . ولا تمنع في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه . وقومه ما استعلت بالقرب والملاينة فإن أباهما فعليك بالشدة والغلظة "

١ . إحياء علوم الدين - الإمام أبي حامد الغزالي - الجزء الثالث (٧٢)

٢ . مفتحة ابين خلدون - الجزء الرابع - (١٢٤٣)